المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية الآداب
قسم التاريخ

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة

التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة

المجلد الأول

هيئة التحرير
عبد العزيز بن صالح الهلابي
ديمتريس ج. ليتسوس
مشلح بن كميخ المريخي
عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار

الرياض ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢

سفارة عمرو بن هند (ملك الحيرة) إلى بلاط الإمبراطور جستين الثاني حسب رواية المؤرخ البيزنطي مننداز(Menander)

نورة بنت عبدالله النعيم

المقدمة:

يتناول هذا البحث موضوع الإعانات التي قدمتها بيزنطة منذ عهد الإمبراطور جستنيان (Justinian) (٥٢٧-٥٦٥م) لملك الحيرة المنذر الثالث بن ماء السماء (٥٠٦-٥٥٤م)، التي قدرها مننداز بمائة رطل من الذهب. إلا أن تلك الإعانات لم تستمر طويلاً ؛ إذ بعد وفاة جستنيان عام٥٦٥م وتولي الإمبراطور جستين الثاني (Justin) قطعت تلك الإعانات لملك الحيرة عمرو بن هند (٥٥٤-٥٩٦م)، الذي خلف والده في إمارة الحيرة. وأصبح موضوع إعادة دفعها أحد القضايا التي طرحت في لقاءات المفاوضات التي دارت بين الجانبين الفارسي والبيزنطي لعقد صلح. لكن الأطراف المتفاوضة فشلت في التوصل إلى حل لتلك المسألة الشائكة، وتمثلت إحدى تلك المحاولات في إقناع الإمبراطور جستين الثاني بإعادتها، هو إرسال سفارة عربية من رجال الحيرة لمناقشة الأمر مباشرة مع الإمبراطور بدلاً من الاعتماد على المفاوض الفارسي.

وتأتي أهمية الموضوع في أنه سيلقي الضوء على الدبلوماسية العربية في القرن السادس الميلادي، كما يهدف إلى مناقشة الأسباب التي دعت الإمبراطور جستنيان إلى منح المنذر الثالث إعانات مالية تقدر بمائة رطل من الذهب، على الرغم من أن المنذر الثالث يدين بالتبعية للفرس أعداء الدولة البيزنطية من جهة، ومن جهة أخرى كان له نشاط حربي طويل ضد الدولة البيزنطية وأتباعها الغساسنة، حيث اجتاز إلى سوريا عدة مرات، وخرب العديد من المدن وأسر العديد من سكان المنطقة بأمر من الملك الفارسي أو تحقيقاً لرغبته الشخصية.

الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة. التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسيطة. هيئة التحرير: عبدالعزيز الهلابي، ديمتريس ليتسوس، مشلح المريخي، عبدالله العبدالجبار، الرياض ١٤٣٣هـ، مج١، ص٣٧٧-٣٩٤

كما يتناول البحث أسباب حرص الجانب الفارسي وإصراره على طرح هذا الموضوع في جميع اللقاءات التي تمت بينه وبين الجانب البيزنطي؛ وبيان أسباب رفض جستين الثاني الاستمرار في دفعها كما فعل سلفه، وأخيرا يتطرق للسفارة التي أرسلها الملك اللخمي عمرو بن هند إلى الإمبراطور البيزنطي لمناقشة الأمر معه، وزمن إرسالها؟ ومن كان صاحب فكرة إرسالها؟ ومن ترأس هذه السفارة؟ وهل كانت المرة الأولى التي يصل فيها عرب الحيرة إلى العاصمة البيزنطية في مهمة رسمية كهذه؟ وما النتائج التي أسفرت عنها تلك السفارة؟ وذلك من خلال رواية المؤرخ "منندار" الذي تفرد بذكر تفاصيل تلك الأحداث.

المؤرخ منندار (Menander)

منندار من مؤرخي القرن السادس الميلادي، تناول تاريخه الفترة الممتدة من تولي الإمبراطور جستنيان وحتى عهد الإمبراطور موريس، الذي شجعه على كتابة التاريخ كما ذكر هو نفسه ذلك. ومنندار من أهالي القسطنطينية، فيها عاش ودرس القانون، مع العلم أنه لم يمارسه مهنةً لكنه وحسب ما ذكر عمل حامياً (Protector)[١]. اهتم بكتابة التاريخ، ويعد المؤرخ الرئيس المكمل لتاريخ اجاثايس (Agathias)[٢]، ولقي تشجيعا من الإمبراطور موريس (Maurice) ٥٨٢-٦٠٢م[٣]. ساعده على ذلك تمكنه واستفادته من الأرشيف الإمبراطوري، واطلاعه على وثائق الفترة المعاصرة لتاريخه[٤]. حيث إن جميع معلوماته عن المفاوضات، جاءت من الأرشيفات والمراسلات، ومحاضر الدعاوى، ومن اتصاله بالمفاوضين والمندوبين الذين شاركوا فيها[٥]. بقى من كتابه حوالي ١٠٠ صفحة تمثل ١٠٪ من كتابه الأصلي،[٦] وقد غطى في

---

(١) R.C. Blockley, *The history of Menander The Guardsman*, Cambridge-2006, 1.

(٢) مؤرخ بيزنطي كتب في التاريخ للمزيد عنه أنظر: A. Cameron, *Agathias*, Oxford-2003

(٣) M. Whitby, *Greek Historical Writing after Procopius: Variety and Vitality* , In: *The Byzantine and Early Islamic Near East*, ed by A. Cameron -L. Conrad, Princeton, 1992, 39.

(٤) Blockley, *The History of Menander,* 19.

(٥) Blockley, *The History of Menander*, 19, Whitby, *Greek Historical Writing*, 39.

(٦) Whitby, *Greek Historical Writing*, 40.

كتابة الفترة الممتدة من ٥٥٨-٥٨١م وهي فترة امتازت بنشاط الدبلوماسية البيزنطية وتطورها مع جيرانها[٧].

وتفرد منندار باهتمامه بالأقوام الذين تعامل معهم البيزنطيون[٨]، إذ يمثل كتابه عرضاً للدبلوماسية؛ لذا يستحق التقدير، لما أورده من معلومات دبلوماسية، فضل بها غيره من الكتاب الكلاسيكيين وساعدته في ذلك خبراته الإدارية السابقة، نظراً لأنه عمل حامياً (Protector) مع العلم أن هناك من يرى أن لقبه هذا شرفي مكافأة له على تدوينه للتاريخ، وتمكنه من الإطلاع على الوثائق الرسمية، وكان لديه المقدرة على التحليل والنقد لتلك الوثائق، وتفهم لروح الدبلوماسية البيزنطية المتأخرة[٩]. كما امتاز أيضًا بإبداء رأيه في بعض المواقف كأن يؤيد رأي المفاوض البيزنطي، أو ينتقده أحيانا أخرى، مثل ما حدث عندما أدان مندوب جستين الثاني الإمبراطور جستنيان في تكرمه على عرب الفرس[١٠]. كما كان ينتقد سياسة جستين الثاني وتصرفاته خاصة مع رئيس الوفد الفارسي المفاوض (Sebokhth)، وتهديده غير الواقعي لكسرى، واستفزازه للفرس[١١]، كما كان مؤيداً لحالة السلام بين الفرس وبيزنطة، لأنه يعتقد أن من الأفضل توجيه جهود الإمبراطورية الحربية لمواجهة أعدائهم الآفار[١٢].

علاقة ملك الحيرة المنذر الثالث بالإمبراطورية البيزنطية والخلفية التاريخية للإعانات المالية له:

تعود العلاقات بين المنذر الثالث ملك الحيرة وبيزنطة إلى عهد جستين الأول؛ حيث تمكن المنذر في الفترة من (٥٠٦-٥٥٤م) من شن هجوم على الأراضي البيزنطية، وكان يقتل ويأسر أعداداً كبيرة منهم، وتضطر الإمبراطورية البيزنطية إلى دفع أموال مقابل إطلاق سراح الأسرى،

---

(٧) Whitby, *Greek Historical Writing*, 40.

(٨) *Barry, "Menander Protector", Dumbarton Oak Papers, Trustees for* Baldwin, *Harvard University*, Vo, 32, 1978, 41, 42.

(٩) *Baldwin, "Menander Protector", 41-42.*

(١٠) Blockley, *The History of Menander,* 3.

(١١) Blockley, *The History of Menander* , 24.

(١٢) Blockley, *The History of Menander,* 24.

وقد وصفه بروكوبيوس (Procopius) بأنه ملك على العرب ولم يتمكن أحد من صد هجماته[١٣]، وفي إحدى غارته أسر اثنين من القادة البيزنطيين هما ثيموستراتوس (Timostratus son of Silvanus)، ويوحنا (John son of Lucas)[١٤]. فأرسل الإمبراطور جستين الأول مفاوضه أبراهام نونوس (Abraham the son of Nonnosus) ومعه وفد كبير للتفاوض مع المنذر في أمر إطلاق سراح الأسيرين، ولعقد معاهدة سلام بينهما[١٥]. وكانت هذه المرحلة الأولى التي بدأت فيها المفاوضات المباشرة بين بيزنطة والحيرة دون تدخل الفرس الساسانيين فيها. وقد كان اللقاء بين المندوب البيزنطي والمنذر في منطقة الرملة[١٦]، حيث كان المنذر الثالث مقيماً فيها. وقد وصفت تلك المفاوضات بأنها كانت تحمل طابعاً وديا ً وتم عقد اتفاق بينهما. وما يدل على حدوث تقارب بين الطرفين ما ذكره منندار بان المنذر أصبح يتسلم من الإمبراطورية البيزنطية مساعدات وذلك عندما لا ينحاز إلى جانب الفرس، وكان متفقاً مع الرومان على أن لا يهاجم الأراضي البيزنطية[١٧]. ولعل هذا التقارب هو الذي أدى إلى سوء العلاقة بين المنذر والملك الساساني قباذ؛ ما جعل قباذ يطرد المنذر من الحيرة، ويولي الحارث الكندي. الحقيقة أن قباذ في هذه الفترة لم يكن في مركز قوة يسمح له بالاعتراض على سياسة المنذر[١٨].

فهل هذا التقارب بين الحيرة وبيزنطة هو البداية للإعانات المالية ؟ وهل استمرت تلك الإعانات حتى عهد الإمبراطور جستنيان؟ خاصة أن رواية منندار تشير إلى الإعانات المالية التي كان يدفعها الإمبراطور جستنيان، أم هي هدايا وعطايا متبادلة في حينها؟ لكن مهما تكن طبيعة

---

(١٣) London 1914, BKI, xvii, 37-43, Procopius, *History of Wars*, trans by H.B. Dewing 157-159; *The Chronicle of Pseudo-Joshua the Stylist,* trans by F. R. Thombley and J. W., Watt, Liverpool, 2000, xxxiii.

(١٤) Procopius, *History of Wars* , xvii,43-48, 159.

(١٥) I. Shahid, *Byzantium and the Arabs in the 6th Century*, Washington D.C.1995, 40.

(١٦) الرملة محلة خربت نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد، أنظر الحموي، *ياقوت معجم البلدان*، العربي، (بيروت: ١٩٧٩م)، ٦٩/٣.

(١٧) Shahid, *Byzantium and the Arabs,* 43, 277.

(١٨) عن هذا الخلاف أنظر: على، جواد، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: ١٩٨٠م)، ٣٣٣، ٣٤٠-٣.

تلك الأموال فمن المؤكد أنها لم تستمر طيلة عهد جستين الأول أو جستنيان، لأن المنذر وإن كف فترات قصيرة عن مهاجمة بيزنطة إلا إنه عاود هذا الهجوم، حيث وصفه بروكوبيوس (Procopius) أنه أخطر أعداء الرومان بسبب سيطرته على كل العرب التابعين للفرس فزادت قوته، ولا أدل على قوة هذا الملك العربي من أن جميع القوى المحيطة، تقربت إليه حيث وصلته وفود من بيزنطة وحمير وأثيوبيا وفارس تطلب وده أثناء إقامته في الرملة عام ٥٢٤م، وأثناء مفاوضات الصلح الدائرة بين بيزنطة والدولة الساسانية[١٩]. وعلى افتراض أن جستنيان دفع للمنذر إعانات مالية، أو أعاد دفع ما كان يأخذه من جستين الأول بعد توقفها مدة من الزمن، بسبب تعدي المنذر على الدولة البيزنطية، وعدم التزامه بالاتفاق القائم بينهما. متى إذاً بدأ جستنيان بذلك؟ هل بعد توليه عرش الإمبراطورية في عام ٥٢٧م أي بعد صلح الرملة، أم في أواخر عهد جستين الأول؛ حيث كان جستنيان هو الحاكم الفعلي في تلك الفترة[٢٠]. وفي هذه الحالة لا يستبعد أن هذا الاتفاق تم أثناء عقد صلح الرملة عندما كان المنذر في أوج قوته، هذا وتشير المصادر إلى أن ملك الحيرة لم يكف عن مهاجمة أراضي الدولة البيزنطية، حتى بعد عقد صلح الرملة ووجود فترات سلم بين الدولة الساسانية وبيزنطة، محققاً بذلك أهدافه الخاصة؛ لذا لا نجد مبالغة في قول بروكوبيوس، بأن المنذر خلال خمسين عاماً، قد أذل الروم وإن لم يكن الفرس والروم في حالة حرب، وكانت الدولة البيزنطية في نهاية كل هجوم تلجأ إلى مفاوضة المنذر حول إطلاق الأسرى وتدفع له مبالغ طائلة مقابل ذلك. ولعل ذلك ما شجع المنذر على تكرار هجماته، إذ أنه يحصل على الكثير من الغنائم أثناء ذلك، بالإضافة إلى ما تدفعه بيزنطة من أموال فدية للأسرى[٢١]. وتخلل هذه الفترة عدة محاولات للوصول إلى صلح بينهما، كما حدث عندما أرسل المنذر أحد الأساقفة سيرجيوس (Serigous) إلى جستنيان يطلب منه الصلح، ورغم عدم نجاح المحاولة إلا أن هذا المندوب عاد للمنذر وهو محمل بالهدايا الثمينة[٢٢].

---

(١٩) I. Shahid,*"Byzantino-Arabica :The Conference of Ramla, A.D 52"4, In: Byzantium and the Semitic Orient, Before the Rise of Islam*, London, 1988, VI, 131.

(٢٠) G. Ostrogorsky, *History of the Byzantine state*, New Jersey, 1969, 69.

(٢١) Procopius, *History of Wars,* BK 1, Xvii, 43-48, 159.

(٢٢) نينا بيغوليفيسكا، *العرب على حدود بيزنطة وإيران، من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي*، ترجمة: صلاح الدين هاشم، (الكويت: ١٩٨٥م)، ١١٣.

كما أشارت المصادر إلى محاولة جستنيان مصادقة المنذر في فترة لاحقة، وعرض عليه أموالاً طائلةً، وكان كسرى قد انتقد سياسة جستنيان تلك واتهمه بمحاولة إبعاد المنذر عن ولائه للفرس بإرسال مندوبه سوموس (Summus) سراً للمنذر، وعرضه عليه أموالاً طائلة، ولقد وقع في يد كسرى مكاتبات من جستنيان يحاول فيها استمالة المنذر إلى جانبه[٢٣]، فهل هذه المحاولات أساسُ دفع تلك الإعانات والتي كان يهدف من ورائها ضمان عدم مهاجمة المنذر لأراضي الدولة؟.

والرأي الآخر أن تلك الإعانات اتفق عليها في أعقاب النزاع الذي دار بين كل من الملكين العربيين المنذر الثالث والحارث الغساني عام ٥٣٩م حول جباية ضرائب أراضي المراعي الواقعة جنوب تدمر المعروفة (Strata)، حيث ادعى كل منهما أن له حق جباية ضرائبها[٢٤]. وعندما اشتكي الملك الساساني كسرى أنو شروان إلى جستنيان تعدي تابعه الملك الغساني، وأن هذا يعد نقضاً لما بين الدولتين من صلح، وخشية أن ينتقض هذا الصلح حاول جستنيان حل الأزمة ودياً، فأرسل مندوبين أحدهما عسكري يدعى سوموس وآخر مدني يعمل مستشاراً مالياً لدى جستنيان يدعى استراتيجوس (Strategius)، من قبله ليتفاوض مع المنذر، لإيجاد حل لهذه المسألة، خاصة أنه مشغول بحروبه في إيطاليا، ويبدو أن مندوبي جستنيان اختلفا في كيفية التعامل مع هذه المشكلة إذ أن سوموس نصح الإمبراطور بعدم التنازل عن هذه الأراضي للمنذر بينما نصحه الآخر بعدم إعطاء الفرس سبباً للبدء بالحرب ،خاصة أن تلك الأراضي صحراوية لا فائدة منها، وكان جستنيان يدرك مدى طمع المنذر بالنقود البيزنطية، يظهر ذلك من الرسالة التي حملها سوموس من جستنيان للمنذر، يعده فيها بمبالغ كثيرة، ويبدو أن إرسال جستنيان لمستشار مالي يعكس رغبته في حل المسألة سلمياً، وإن تطلب ذلك شراء المنذر بأموال، ولم تكن هذه المرة الأولى التي يحاول جستنيان رشوة المنذر، فقد سبق وأن فعل ذلك عام ٥٢٨م. لذا من المحتمل أن الإعانات المالية التي جرى النقاش حولها في المرحلة التالية بدأ دفعها للمنذر بعد تلك المفاوضات. خاصة أن كسرى عدَّ مفاوضات جستنيان مع المنذر إخلالاً بالسلم بينهما؛ حيث هاجم بقواته

---

(٢٣) Procopius, *History of Wars*, BK II, 1,6-12, 263; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 278.

(٢٤) عن هذا النزاع أنظر: Procopius, *History of Wars*, BK Iii, 6-12, 261-263

أراضي الدولة البيزنطية دون أن يكون للمنذر دور بارز فيها[٢٥]، ولعل هذا بسبب الاتفاق بينه وبين جستنيان. هكذا نرى أن الإعانات المالية التي دُفعت للمنذر لم تكن مستمرة طوال حكم كل من المنذر الثالث والإمبراطور، بل دفعت في فترات مختلفة، وحسب الظروف ولعل من أهم أسباب دفعها :

- ازدياد قوة المنذر الثالث التي برزت بصفة خاصة في فترة ضعف الدولة الساسانية أثناء حكم قباذ الأول.

- زيادة هجماته الضارية على الأراضي البيزنطية وما أحدثه من خراب وسلب ونهب، وكان يخرج من تلك الهجمات منتصراً ويحصل منها على الأموال الطائلة سواءً أ كانت غنائم أو أموالاً تسلم له فداء للأسرى الرومان ؛ لذا لجأ جستنيان إلى محاولات شراء تهدئة تلك الجبهة وكف يد المنذر عن الهجوم على أراضي الدولة البيزنطية، وهذه سياسة دأبت الدولة البيزنطية على ممارستها مع عدد من الأقوام المجاورين لها في حالة تهديدها للدولة.

- انشغال الإمبراطور جستنيان في مشروعاته الحربية في الغرب وشمال أفريقيا، والتي كان يهدف منها إعادة إحياء الإمبراطورية الرومانية بإعادة ضم الولايات الغربية.

وهكذا رأينا طبيعة تلك الإعانات وأسباب دفعها للمنذر، والتي توقفت وأصبحت محط نقاش طويل استمر فترة طويلة بين الفرس والبيزنطيين. والسؤال متى أوقف دفع هذه الأموال؟ ولماذا؟.

الإعانات المالية في المفاوضات الساسانية والبيزنطية:

يبدو من رواية "منندار" التي تلقي الضوء على هذه المسألة، في الفترة السابقة لعقد صلح عام ٥٦١م والفترة التي أعقبته، أن موضوع الإعانات أثير عدة مرات. الأولى كما يبدو من روايته أثناء مفاوضات صلح عام ٥٦١م، وفي هذه الحالة يكون ذلك في عهد الإمبراطور جستنيان[٢٦]، وليس جستين الثاني الذي لم يصبح إمبراطوراً إلا عام ٥٦٥م بعد وفاة جستنيان. وكان المنذر

---

(٢٥) حول دور المنذر في هذه الحروب Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 227-231

(٢٦) Blockley, *The History of Menander*, fr.6,1, 69.

الثالث قد قُتل في عام ٥٥٤م وتولى بعده ابنه عمرو بن هند الذي كان ممتعضاً من انقطاع تلك الأموال التي كان والده يتلقاها من الإمبراطور، ومما يؤكد إثارة هذه المسألة في عهد جستنيان ذكر الكاتب توقيع الصلح الذي كان من بنوده التزام العرب الموالين لكل من الدولتين بعدم مهاجمة أراضي الدولة الأخرى[٢٧]، وذلك بعد الانتهاء من المفاوضات.

وأثيرت هذه المسألة مرة ثانية عندما قابل المفاوض البيزنطي كسرى في بيت أرامية[٢٨] شمال شرق طيفسون[٢٩] لمناقشة أمر نقل تبعية سوانيه (Suania)[٣٠] لبيزنطة. عندها أثار كسرى موضوع الإعانة المالية لعرب الحيرة، وذكر أن عمراً ملك العرب غضب من المفاوض الفارسي لأنه في أثناء مفاوضات الصلح لم يصر على حقوق الملك العربي. وكان رد بطرس (Peter) أن الأموال التي تلقاها المنذر والد عمرو من الإمبراطور لم تكن تعويضاً أو بموجب اتفاقية بينهما، وإنما هي هدايا متبادلة بين الطرفين. كما ذكر أنها لم تكن سنوية، ومع أنها استمرت فترة طويلة إلا أنها انقطعت مدة خمس سنوات[٣١]، كما أظهر سوء نوايا المنذر تجاه الفرس بقبوله هذه الإعانات إذ علل دفعها له شريطة ألا يرفع سيفه ضدّ بيزنطة في حالة حدوث حرب بين الفرس وبيزنطة[٣٢]. وأردف المفاوض البيزنطي قائلاً استمر هذا الحال حتى عقدت الهدنة بين الفرس وبيزنطة والتي نصت بنودها على التزام العرب الموالين لكل منهما بعدم مهاجمة أراضي الدولة الأخرى؛ لذا لم يعد هناك حاجة لاستمرار دفع هذه الإعانات. لكن كسرى على ما يبدو لم يكن مقتنعاً بمسوغات المفاوض، ورد بما أنه قد تم تبادل الهدايا وزيارات المندوبين بين الطرفين العربي والبيزنطي قبل عقد الصلح، فمن رأيه أن تستمر بعد حلول السلام في المنطقة. لكن هذا النقاش الذي دار بين الملك الفارسي والمفاوض البيزنطي بطرس بخصوص الإعانات لم يأت بنتيجة

---

(٢٧) Blockley, *The History of Menander*, FR, 6, 1, 71-13; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 266-273.

(٢٨) بيت أرامية مدينة تقع شمال غرب بابل في المنطقة بين دجلة والفرات بالقرب من العاصمة الساسانية طيفسون؛ Shahid, Byzantium and the Arabs, 414.

(٢٩) طيفسون: هي المدائن عاصمة الدولة الساسانية.

(٣٠) سوانيه: مقاطعة في لازيكا في أسيا الصغرى.

(٣١) Blockley, *The History of Menander,* FR, 6, 1, 83.

(٣٢) Blockley, *The History of Menander*, 83.

مرضية، وعاد الطرفان لنقاش أمور أخرى كانت مازالت عالقة منذ عقد الصلح بينهما[٣٣].

هذه الإشارات السالفة الذكر تؤكد أن الالتزامات المالية التي دُفعت للمنذر من قبل جستنيان توقفت قبل عقد الصلح عام ٥٦١م، حينما كان جستنيان على قيد الحياة، وبعد وفاة المنذر في ٥٥٤م أي قبل عقد الصلح وقبل إثارة هذه القضية؛ ولذا يمكن أن يكون سبب قطعها هو:

- عدم التزام المنذر قبل وفاته بما اتفق عليه من عدم المشاركة في الحرب ضّد بيزنطة مع العلم أنه لم يكن له دور واضح في المعارك التي دارت بين الفرس والبيزنطيين عام ٥٤١م وعام ٥٤٢م، لكنه دخل في قتال متصل مع الغساسنة أتباع بيزنطة، الذين كانوا في حالة تقارب مع الدولة البيزنطية حتى أن الحارث بن جبلة الغساني شارك في حرب بيزنطة ضد الفرس عام (٥٤١-٥٤٢م)[٣٤].
- تبدل السلطة في الحيرة بعد مقتل المنذر الثالث عام ٥٥٤م وتولي ابنه عمرو بن هند السلطة خلفا له، لأن الاتفاق -لو كان بالفعل هناك اتفاق- كان مع والده المنذر لذا انتهى بموته التزام بيزنطة نحوه.
- إتمام عقد الصلح عام ٥٦١م بين الفرس وبيزنطة الذي بموجبه التزم العرب التابعون للطرفين بعدم مهاجمة الطرف الآخر، وبهذا لم يعد هناك حاجة للاتفاق مع عرب الحيرة على حدة.

لكن موضوع الإعانات المالية أطل برأسه مرة أخرى بعد وفاة جستنيان وتولي جستين الثاني عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ٥٦٥م حيث ذكر المؤرخ منندار أن جستين الثاني بعد إعتلائه عرش الإمبراطورية أرسل المدعو "يوحنا بن دومنينتولوس" (John the son of Domnentiolus) إلى طيفسون، العاصمة الساسانية، لإعلان تقلده السلطة في بيزنطة عام ٥٦٧م. وفي أثناء لقاء السفير البيزنطي مع كسرى أثار كسرى موضوع الإعانات المالية، وكرر

---

(٣٣) Blockley, *The History of Menander,* 85.

(٣٤) Procopius, *History of Wars* BK1.xviii, 1-7, 161-163,BK11, xix,8-15, 421; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 226-231

الأسباب نفسها التي سبق وأن ذكرها للمفاوض البيزنطي السابق "بطرس" بأن على بيزنطة التزامات نحو عرب الفرس، كانت تدفع لهم مقابل المحافظة على السلم في المنطقة، والكف عن مهاجمة أراضي الدولة البيزنطية، والآن يتوجب عليهم دفع ما كانوا يرسلونه لهم من أموال في السابق، وهنا رد يوحنا بأن كرم ونبل جستنيان هو ما دفعه في فترات السلم إلى تقديم هدايا مالية لعرب الفرس، وأضاف بأن جستنيان كان يدفع تلك الأموال لعرب الفرس، لكونه محباً للعطاء، وعن طيب خاطر دون أن يكون هناك اتفاق أو شروط. ومما يدل على ذلك أن ملك العرب (المنذر) كان بالمقابل يرسل الهدايا للإمبراطور جستنيان. وأضاف يوحنا قائلاً، حتى لو سلمنا بأن جستنيان دفع تلك الأموال نتيجة لاتفاقية بين الطرفين فإنها تظل سارية طوال حياته، أما بعد موته فتنتهي تلك الاتفاقية. فإن الإمبراطور جستين الثاني منعته كرامته وعدم إحساسه بأهمية هؤلاء العرب الذين اتسموا بالطمع رأوا في إيقاف هذه الأموال وقفًا لدخلهم، وحملوا الملك الساساني بصفتهم أتباعه مسؤولية إعادتها[٣٥]. وعاتب يوحنا كسرى على اهتمامه بهذا وتصديقه للعرب في إدعائهم هذا، وذكر أن جستين يريد أن يلتزم العرب بالسلم ليس بدفع الأموال لهم بل بسبب هيبته وخوفهم منه[٣٦]. وعاد المندوب البيزنطي إلى بلاده دون حل قضية سوانيه أو قضية أموال عرب الحيرة .

سفارة عمرو بن هند للبلاط البيزنطي:

أرسل كسرى في فترة لاحقة الموبذان إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور جستين الثاني لإنهاء مسألة مقاطعة سوانيه المختلف عليها بين الطرفين، وقضية أموال عرب الحيرة، وكان يرافق المندوب الفارسي وفد يتكون من أربعين رجلاً من رجالات الحيرة بأمر من الملك عمرو بن هند لمقابلة الإمبراطور نفسه ومحاولة شرح قضيتهم له مباشرة على ما يبدو لعله يتفهم الأمر ويعيد دفع المال لهم من جديد[٣٧]. لكن الإمبراطور لم يقابل المندوب الفارسي مقابلة حسنة، بل وبين له أنه

---

(٣٥) Blockley, *History of Wars*, Fr, 9, 1, 99-103

(٣٦) Blockley, *History of Wars*, Fr9.1, 101

(٣٧) Blockley, *History of Wars*,107.

لن يوافق على مطالبه، ومع ذلك طلب المندوب الفارسي الإذن من الإمبراطور بالسماح للعرب بمقابلته شخصياً وشرح القضية له. لكن الإمبراطور أعطى الإذن لواحد من هؤلاء العرب فقط لمقابلته، لأنه، وحسب ما ذكر "منندار"، كان مدركاً بأن هذا الرجل سوف يرفض أن ينفرد بمقابلة الإمبراطور دون بقية الوفد لمخالفة هذا لعادات العرب. وكان توقع جستين في محله إذ رفض رئيس السفارة العربية أن يقابل الإمبراطور منفرداً لأنه لا يريد أن يتحدث باسمهم[٣٨].

ثم عاد المندوب الفارسي بعد عدة أيام وطلب مقابلة الوفد العربي للإمبراطور، وإن من حقه أن يعطى المعاملة نفسها التي عومل بها المندوب الفارسي الذي زار بلاط جستنيان، وكان معه سفارة عربية من قبل والد عمرو وقد سمح لهم الإمبراطور بمقابلتهم جميعاً، لكن جستين أصر على موقفه، بل إنه رفض اقتراح المندوب الفارسي منح الوفد العربي شيئاً من الهدايا قبل رحيلهم[٣٩].

وهكذا فشل المندوب الفارسي في إقناع الإمبراطور بمقابلة الوفد العربي. وعاد المندوب الفارسي والسفارة العربية دون تحقيق أي تقدم في مسألة الأموال، وبطبيعة الحال كان ردة فعل عمرو بن هند على هذا أن أوكل لأخيه قابوس مهاجمة الغساسنة أتباع بيزنطة، لكي لا يظهر هذا إخلالاً بمعاهدة صلح عام ٥٦١م[٤٠].

بعد استعراض تلك الأحداث المتعلقة بتلك الإعانات يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات، لماذا أصر الفرس على مناقشة الأمر مع بيزنطة عدة مرات سواءً مباشرة مع الإمبراطور أو مع أحد مندوبيه؟ ولم أصر جستين الثاني على رفض طلب الفرس والعرب إعادة الإعانات المالية السابقة؟ ولماذا حرص ملك الحيرة عمرو بن هند أن يظل يحصل على تلك الإعانات المالية؟ لماذا أرسل عمرو بن هند هذه السفارة؟ ولماذا ضمت سفارة العرب هذا العدد الكبير؟ وما سبب رفض كبير العرب مقابلة الإمبراطور وحده دون مرافقيه، حسبما طلب الإمبراطور، ومن هو هذا الرجل الذي تزعم تلك السفارة؟

---

(٣٨) Blockley, *History of Wars*, 109.

(٣٩) Blockley, *History of Wars*, 111.

(٤٠) بيغوليفسكا، *العرب على حدود بيزنطة*، ١٤٢.

سنحاول فيما يأتي الإجابة على التساؤلات السابقة .

- إن إصرار الفرس على استمرار بيزنطة في دفع الأموال لملك الحيرة هو حرصهم على إرضاء أتباعهم عرب الحيرة للعلاقة القائمة بينهم، حيث أدى هؤلاء للفرس خدمات كثيرة فقد حاربوا إلى جانبهم ضّد الدولة البيزنطية، كما صدوا الهجمات البيزنطية عن الأراضي الساسانية، بالإضافة إلى إخضاعهم للعديد من القبائل العربية للسلطة الساسانية، وإن كان هذا بطريقة غير مباشرة، كما خدموا مصالح الدولة الساسانية داخل الجزيرة العربية، خاصة المناطق التي لم يكن للدولة الساسانية نفوذ مباشر فيها.

- إن حصول الحيرة على تلك الأموال، سوف يخفف من التزامات الدولة الساسانية نحوهم، هناك من يرى أن الحيرة لم تكن تستلم أموالاً من الدولة الساسانية على غرار ما كان يدفعه البيزنطيون لأتباعهم عرب الغساسنة.

- رغبة الفرس في تحويل تلك الإعانات إلى إرث في أسرة آل لخم، كما فعلوا في أمر تولي السلطة في الحيرة.

- وأخيراً حرص الفرس على استمرار الصلح مع بيزنطة، خاصة أنهم حصلوا مقابل هذا الصلح على أموال طائلة إما مقابل ما تنازلوا عنه، أو ما استلموه بحسبانه جزءاً من مشاركة بيزنطة في حماية ممرات القوقاز.

- إدراك الفرس بأن عدم استمرار بيزنطة في دفع الأموال لعمرو بن هند سوف يهدد هذا الصلح، ويؤدي إلى مهاجمة عمرو بن هند لأراضي الدولة البيزنطية.

أما سبب رفض جستين إعادة دفع الأموال لملك الحيرة، ليس في اعتقادي ما كرره كل من "بطرس" و"يوحنا" مندوبي بيزنطة أو حتى ما ذكره الإمبراطور ذاته من أن تلك الأموال كانت عبارة عن هدايا متبادلة بين جستنيان والمنذر في أوقات السلم، و أنها نابعة من كرم الإمبراطور، وليس كما يدعي العرب حسب اتفاقية، لكن يبدو أن أسباب ذلك هي :

- احتقار جستين للعرب (Saracens) ويظهر ذلك من الصفات السيئة التي ألحقها بهم في أثناء

حواره مع الموبذ في القسطنطينية[٤١].

- أما السبب الحقيقي هو أن خزينة الإمبراطورية كانت خاوية نتيجة للحروب التي خاضها جستنيان في الغرب وأنهكت الخزينة، والدليل على ذلك رفض جستين منح الآفار الهدايا التي اعتادت الدولة البيزنطية إعطاءها لهم، وعندما قدم وفد من الآفار لمناقشة الإمبراطور حول إعادتها، قابل الوفد المفاوض بفظاظة لا تقل عن فظاظته مع المندوب الفارسي والسفارة العربية[٤٢].

أما لِمَ حرص عمرو بن هند على الحصول على مائة رطل من الذهب، كان والده يتسلمها من جستنيان؟ فبسبب:

- رغبته في الحصول على الذهب خاصة أن مصادر دخل الحيرة، وحسب ما أوردتها المصادر تتكون من ربع الغنائم التي يحصلون عليها من الغزو، ومن الضرائب المفروضة على القبائل التابعة لهم، والتجارة والإقطاعيات التي يحصلون عليها من الأكاسرة وفي مجملها مصادر عينية وليست عملات أو ذهباً[٤٣]، بينما كانت الدولة البيزنطية تدفع لأتباعها من العرب الذهب والفضة[٤٤]، وكانت تلك الإعانات وكما قدرها "منندار" مائة رطل من الذهب.
- معاهدة صلح عام ٥٦١م التي نصت على التزام العرب التابعين لكل من الفرس وبيزنطة بعدم مهاجمة أراضي الدولتين؛ ما حرم عرب الحيرة من أحد مصادر دخلهم من خلال الغارات، التي كانوا يشنونها على أراضي الدولة البيزنطية وما كانوا يحصلون عليه من غنائم

---

(٤١) على أن هناك من يرى أن ما أورده منندار على لسان جستين الثاني إنما هو يعكس وجهة نظر: Blockley, *History of Wars* , 111؛ الكاتب وليس الإمبراطور، عن هذا انظر: Baldwin, *"Menander Protector"*, 118.

(٤٢) Baldwin, *"Menander Protector"*, 93-97.

(٤٣) عن مصادر دخل ملوك الحيرة انظر: أبو البقاء، هبة الله الحلي، *المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية*، تحقيق: محمد خريسات وصالح موسى درادكة، (العين: ٢٠٠٠م)، ٢/ ٥٠٧؛ M. J. Kister, *Studies in Jahiliyah and Early Islam*, Hampshire 1980, part, III, 159.

(٤٤) Blockley, *History of Wars*, 93-97.

في تلك الغارات خاصة ما كانوا يحملونه من أموال الكنائس ونفائسها. كما اعتادت بيزنطة على دفع أموال لهم فدية للأسرى الذين يقعون في أيديهم، كما ذكرنا سابقاً في عهد المنذر الثالث والإمبراطور جستنيان.

- أما سبب إرسال عمرو بن هند لهذه السفارة، فهو عدم ثقة الملك الحيرى بقدرة المفاوض الفارسي على إقناع الإمبراطور بأحقيته بهذه الأموال، حيث فشلت كل المحاولات السابقة ولم يتوان عن انتقاد وتأنيب المفاوض الفارسي في مرحلة سابقة، وغضب من عدم مقدرته على إقناع المندوب البيزنطي "بطرس". كما أن كل المحاولات التي قام بها الجانب الفارسي بالنيابة عن العرب حتى التي كان كسرى طرفاً فيها فشلت في تحقيق تقدم في هذه المسألة. لذا رأى ملك الحيرة إرسال سفارة ترافق المندوب الفارسي إلى القسطنطينية، ليحاول أفرادها مقابلة الإمبراطور وإقناعه بأهمية إعادة صرف الأموال لهم كما كان في السابق. وحسب رواية "منندار" يتبين أن هذه لم تكن السفارة الأولى التي سبق للحيرة إرسالها للقسطنطينية لمقابلة الإمبراطور، ولا الأخيرة، حيث سبق للمنذر الثالث أن أرسل وبرفقة المفاوض الفارسي سفارة على ما يبدو كان حظها أفضل من التالية إذ تمكن أفرادها من مقابلة الإمبراطور، على الرغم من أن منندار لم يذكر زمن إرسالها وسببه[٤٥].
- وأما عدد أفراد السفارة وكثرتهم فربما كان لإظهار مدى قوة الحيرة لكل من الفرس والبيزنطيين.

لم يشر "منندار" إلى وجود رئيس للسفارة العربية، ولكن يفهم من سياق الحديث الذي دار بين المفاوض الفارسي وجستين أن هناك من ترأسها وهو الذي وافق الإمبراطور على مقابلته، ولم يرد اسمه لدى منندار، لكن من هو رئيس تلك السفارة؟ وبما أن هذه السفارة لم تكن الاولى كما أشرنا سابقاً، فهل هذا دليل على وجود أسرة عمل أفرادها دبلوماسيين لملوك الحيرة؟ يرجح أحد الباحثين أن تلك الأسرة هي أسرة بني أيوب المسيحية التي كانت في خدمة ملوك الفرس

---

(٤٥) Blockley, *History of Wars*, 93-97.

والحيرة[٤٦]. وأن رئيس سفارة عمرو بن هند للإمبراطور جستين الثاني عام ٥٦٧م هو عدي بن زيد الذي عمل مسؤولاً عن شؤون العرب في بلاط كسرى، كما كان مترجماً له لإجادته اللغتين العربية والفارسية، وله خبرة في العمل الدبلوماسي حيث تذكر المصادر أن كسرى أرسله في سفارة للإمبراطور البيزنطي ومعه هدايا نادرة، واستقبله الإمبراطور بحفاوة، وعندما قرر العودة حمله الإمبراطور بهدايا لكسرى[٤٧].

لذا فقد اكتسب خبرة في العمل الدبلوماسي الذي لم يكن غريباً عن أسرته؛ حيث كان والده زيد أحد الدبلوماسيين الذين رافقوا المنذر الثالث أثناء مفاوضات صلح الرملة في ٥٢٠م. ولكونه يدين بالمسيحية يرجح اختياره ليرأس هذه السفارة، ونظراً لخبرته الدبلوماسية[٤٨] أرسله الملك الفارسي إلى قيصر الروم في مرحلة تالية، دون أن تحدد المصادر متى كانت تلك السفارة[٤٩]، وأشارت إلى تكريم القيصر له وتحميله هدايا للملك الفارسي.

أما لماذا رفض هذا الفرد مقابلة الإمبراطور ومناقشته بخصوص الإعانات المالية؟ لأنه عد هذا مخالفاً للتقليد الذي اتبع أيام الإمبراطور جستنيان بمقابلته لجميع الشخصيات المرافقة للسفير، كما أنه مخالف للتقاليد العربية، لكن في الواقع السبب لم يكن هو أن عادات العرب تمنعه من أن يتحدث باسم الآخرين، بل الحقيقة أن السبب وراء رفضه هو الخوف الشديد من غضب الملك عمرو بن هند وهو من عرف عنه سرعة الغضب والحماقة وقسوته الشديدة، فقد صب جام غضبه على كثيرين وقتلوا بسبب ذلك.[٥٠]

---

(٤٦) عن دور هذه الأسرة أنظر: Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 315-318

(٤٧) لكن صاحب الأغاني لم يذكر اسم الملك الفارسي الذي أطلق عليه كسرى، مع العلم أن المصادر الإسلامية أطلقت اسم كسرى، *على ملوك الدولة الساسانية*. أنظر: الأصفهاني، أبو الفرج على بن الحسين (ت: ٣٥٦)، *الأغاني*، شرح عبد أعلى جابر، ط٤، (بيروت: ٢٠٠٢م)، ٢٩/٤.

(٤٨) عن دور عدي بن زيد، أنظر الأصفهاني، *الأغاني*، ٢/ ٩٤؛ Horovitz, J, *The 'ADI IBN ZEYD: Islamic Culture Poet of Hira*, 4, 1930, 38-39.

(٤٩) عن هذه السفارة، انظر الأصفهاني، *الأغاني*، ٨٥/٢.

(٥٠) عن وحشية عمرو بن هند وقسوته أنظر أمثلة لذلك في الأصفهاني، *الأغاني*، ١٩٣/٢٢- ١٩٤، وغيرها، بل إن عمرو بن هند قتل بسبب حماقته.

ولذا قدر هذا الرجل في حالة دخوله على الإمبراطور ومناقشته في الأمر، وفشله في تحقيق تقدم فيه أن ذلك سيغضب الملك الحيري الذي بدوره سيلقي باللوم عليه كما فعل عندما فشل المفاوض الفارسي في تحقيق تقدم في مسألة الإعانات أثناء مفاوضته مع المندوب البيزنطي بطرس، عندها ألقى باللوم عليه ولم يتردد في إطلاع كسرى على ذلك، وربما يؤدي فشله إلى انتقام الملك منه وقتله.

أهم النتائج:

توصل البحث إلى عدد من النتائج هي:

- بلغت الحيرة على عهد ملكها المنذر الثالث أقصى ازدهارها وقوتها العسكرية، وتمتعت بنفوذ واسع وسط القبائل العربية، ومع الفرس والروم.
- أصبحت الحيرة في القرن السادس الميلادي خطراً على الولايات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ما جعل الإمبراطور البيزنطي جستنيان في أكثر من مرة يتقرب من المنذر الثالث، محاولاً شراء ولائه ليصرفه عن ولاء الفرس، أو شراء هدوئه وكف يده عن الغارات التي دمرت الأراضي البيزنطية في المنطقة الممتدة من مصر وحتى الجزيرة الفراتية.
- اتباع بيزنطة لسياسة شراء السلام مقابل دفع أموال طائلة، إذ اتبعت بيزنطة هذه السياسة مع العديد من الأقوام المجاورين لها.
- أولت الدولة الساسانية اهتماماً كبيراً لشؤون إمارة الحيرة، يظهر ذلك من المحاولات المتكررة التي قامت بها الدولة الساسانية للمطالبة بحقوق ملك الحيرة، وإثارة الموضوع في حلقات المفاوضات التي تمت بين الطرفين، نظرا لأهمية القوة العسكرية للحيرة، خاصة في عهد كلا الملكين المنذر الثالث وابنه عمرو بن هند.
- دور عرب الحيرة في الدبلوماسية السياسية في القرن السادس الميلادي، إذ شارك هؤلاء في أكثر من سفارة، كما استقبل ملوكها العديد من السفارات البيزنطية التي تناولت الكثير من الأمور مثل إطلاق الأسرى، أو تحقيق السلام وغيرها. ويبدو أن أسرة حماد بن أيوب والتي من أفرادها عدي بن زيد خبرت العمل الدبلوماسي.

- حرص ملوك الحيرة على مصالحهم الشخصية، ولذا نجد إصرارهم على المطالبة بتلك الإعانات في مرات عديدة ما جعلهم يلقون باللوم على المفاوض الفارسي لفشله في تحقيق نجاح في مسألة إعادة صرف الإعانات المالية.
- تمثل هذه المرحلة حقبة جديدة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية تختلف عما سبق خاصة في مجال علاقتها بالعرب.

خريطة (١) توضح بعض المواقع الواردة في البحث